

في نور محمد فاطمة الزهراء

وزمجرة [1186] كواسر الغاب. لكأنّما الرسول يكاشفها بما يعانیه، لكأنّها ترى مشاعره برأى العين لا بخلجات الأحاسيس. ها هو ذا ينحني على بقايا جثمان عمّه الشهيد، ويهمس لنفسه كأنّه عن دنيا كلّ من حوله بعيد: «لن أصاب بمثلك أبداً!» [1187]. وترجّاه لوعته عنيفةً، وإنّّه للقوي المكين أمام نوائب الدهر، وأفدح الملمّات. ويقول: «لولا أن تجزع صفيه ونساؤنا، وتكون سنّةً من بعدي، لتركنا حمزة ولم ندفنه حتّى يحشر من بطون الطير والسباع!» [1188]. ثم نفجر غضبه، ينفر وتينه [1189]، يردد عرنيه، تندفع الكلمات ملتهبة من فيه، يحرق لظاها المتسعر قناع الدموع الذي أسدلته على وجهه الفجيعة... ويوعد بأفطع انتقام: «ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ إليّ من هذا، وإني، لئن أظهرني إني عليهم يوماً في الدهر، لأمثّلنّ بهم مثلةً لم يمثّلها أحد من العرب!». أفي فعل؟ وكيف... وهو السمع العفو الذي أرسله ربّه تعالى رحمةً للعالمين؟ بل يأبى له إني ما اعتزم، فينفض عنه رغبة الانتقام، ويردّ عليه ما أذهب الجزع من صبره، فيفیه إلى حلمه المعهود... ينزل عليه: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوْا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِمْ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَدْرُكَ إِلَّا رَءٍ) [1190].